علم الاجتماع في الوطن العربي:

1- السوسيولوجيا علم " أيديولوجي" ، يصعب فصل نشأته وتطوره عن المناخ السياسي والثقافي العام المرتبط بمجمل التطورالإجتماعي البشري . وبالنسبة للوطن العربي ، فإن هذا المناخ ، قد شهد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، بروز أربعة تيارات سياسية ــ إجتماعية كبرى هي : التيار الليبرالي ، التيار الديني الإ سلامي ، والتيار القومي العربي ، والتيار الماركسي اللينيني . ولكن هذه التيارات الرئيسية الأربع ، أخذت بعد هزيمة حرب 1967 بين العرب وإسرائيل ، ولأسباب متعددة ومختلفة ، تنقسم على نفسها ، إلى أجنحة وتيارات فرعية ، بعضها وقف إلى جانب السلطات القائمة (بما في ذلك السلطات المهزومة في الحرب) ، وبعضها ضدها ، وقد انعكس كل ذلك على نشاة وتطور السوسيولوجيا في الوطن العربي ، كما سنرى لاحقاً.

2- تختلف نشأة السوسيولوجيا في الوطن العربي ، من جهة بين المشرق والمغرب العربيين ، ومن جهة ثانية ، بين قطر عربي وآخر . ففي المشرق العربي (حسب علي أومليل) " نقل هذا الدرس أساساً طلاب ذهبوا لتحضير رسائل في الجامعات الأوربية والفرنسية خاصة ، ثم فيما بعد في الجامعات الأمريكية ، وعاد هؤلاء ليذيعوا ماتعلموه ، انطلاقاً من الجامعة المصرية ... أما في بلدان المغرب العربي ، فإن دخول الأبحاث .. قد بدأت كاستكشافات للتعرف على البلاد تمهيداً للغزو الاستعماري لها .. وهكذا تكوّن ركام ضخم من تقارير استكشافات ، ومنوغرافات .. وكذلك العديد من الأبحاث عن القبائل والمدن والزوايا الملتزم أغلبه بإنجاح عملية اســـتتباع البلاد وإدماجها بالنظام الاستعماري. "

3- لقد دخلت السوسيولوجيا الجامعات العربية ، أولاً كمادة دراسية في إطار المواد الأساسية لقسم الفلسفة ، ثم بدأت تتحول تدريجياً إلى قسم مستقل . وتعتبر جامعة القاهرة أول جامعة عربية تحولت فيها السوسيولوجيا إلى قسم مستقل عام 1947 ، بينما تأخرت جامعة دمشق إلى 1976 ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى 1978 م وما تزال السوسيولوجيا تدرس في العديد من الجامعات العربية في إطار العلوم الإجتماعية الأخرى أو الفلسفة.

4- تنطبق مسألة تبعية الوطن العربي الثقافية العامة للدول الصناعية المتطورة ، بصورة أساسية على السوسيولوجيا التي نشأت في أحضان الثورة الصناعية في أوروبا وأمريكا . ولم يكن الرواد العرب الأوائل من السوسيولوجيين سوى ممثلين لهذه المدرسة أو تلك من المدارس السوسيولوجية الأوروبية . فلقد كتب نقولا حداد عام 1924 أول كتاب عربي يحمل اســـم " علم الإجتماع " ، وكان واقعاً بصورة خاصة ، تحت تأثير هربرت سبنسر ، ونظرية التطور الداروينية ، وحاول كل من عبد الواحد وافي ، وعبد العزيز عزت ،وحسن سعفان شحادة ، إلباس ابن خلدون قبعة أوغست كونت، ولم يكن عبد الكريم اليافي أكثر من ناقل لنظريات دوركهايم الســـوســـيولوجية إلى اللغة العربية ، وبصورة عامة فإن مؤلفات ، وترجمات خريجي جامعات أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية ، التي كانت تهيمن على المناخ الأكاديمي العربي ، قد جعلت السوسيولوجيا في الوطن العربي ، وحتى وقت قريب ، السيرة الوضعية الفرنسية ، والإمبيريقية الأمريكية ، والاتجاه البنائي الوظيفي (أنظر: عبد الباسط عبد المعطي ، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، الكويت 1981) . هذا وقد وضع كثير من السوسيولوجيين العرب ، إمكانياتهم ومعارفهم العلمية ، في خدمة الأنظمة التي يعيشون في ظلها وحولوا السوسيولوجيا إلى علم رسمي تبريري ، وأغرقوا طلبتهم في بحوث إمبيريقية جزئية بعيداً عن الحاجات الفعلية للجماهير الشعبية التي تحكمها هذه الأنظمة.

5-بعد فشل عقدي الأمم المتحدة الأول 1960 ــ 1970 ، والثاني من 1970 ــ 1980 ، في تضييق المسافة الإقتصادية والاجتماعية بين الدول المتطورة ، والأخرى ناقصة التطور (ومنها الوطن العربي) بدأت أعين السوسيولوجيين العرب تتفتح على عيوب النظريات التي تدخل في إطار " علم اجتماع التنميةSociology of Development " وبالتالي ، تم وضـــع هذه النظريات على محك النقد العلمي ، ولكن من منظورأبناء العالم الثالث أنفســـهم هذه المرة حيث اخذت تتزاحم على هذا المحك النقدي ، تيارات سوسيولوجية أربع ، تمثل التيارات السياسية التي سبق أن أشرنا إليها في الفقرة الأولى أعلاه ، ألاوهي :التيار الليبرالي ، التيار الإسلامي ، والتيار القومي ، والتيار الماركسي ـــــ اللينيني .وبدأنا نرى في المكتبات العربية كتباً تحمل أسماء : علم

الإجتماع الإسلامي ، علم الإجتماع البرجوازي ، علم الإجتماع الماركسي، وكانت تنطوي على وجهات نظر متباينة حول قضايا التخلف والتبعية والتنمية.

6- في دراســـة ميدانية قام بها الدكتور طاهر لبيب ، الأمين العام للجمعية العربية لعلم الإجتماع حول المؤلفين والمؤلفات المقترحة على طلبة الســـوســـيولوجيا في ثمانينات القرن الماضـــي، تبين (وبكلمات الباحث نفسه: (

ـــــ أن سمير أمين هو المرجع الأول في تدريس علم الإجتماع ،

ـــــ أن ابن خلدون والمغرب العربي مقولتان متلازمتان ، يفضي كل منهما إلى الآخر ،

ـــــ يمثل كارل ماركس المرجع الخفي ، الذي لايوجد ـــــ عموماً ـــــ رجوع مباشر إليه ، وإنما عبر قراءات ماركسية ، من نوع قراءات : ألتوسر Alltusser ، غرامشي A.Gramci ، سمير أمين ، عبد الله العروي،

ـــــ ينتمي كل من سمير أمين وماكس فيبر وابن خلدون وعبد الله العروي إلى النواة الأساسية لمـــــــــــجـــــــــــال المـــــــــــعـــــــــــرفـــــــــــة السوسيولوجية التي مصدرها التدريس في الجامعة التونسية.

إن دراسة الدكتور الطاهر لبيب ، تعكس واقع الحال واحداً من الاتجاهات السوسيولوجية الأربعة التي أشرنا إليها في الفقرة السابقة ، ألا وهو الاتجاه الماركسي اللينيني ، وهو لايمثل واقعيّاً سوى جانب واحد من الواقع السوسيولوجي في جامعات الوطن العربي ، الذي سبق أن أشرنا إليه.

7-تنطوي الترجمة العربية لكلمة Sociologie الكومتية بـ ـــ " علم الإجتماع " ،على نوع من الإلتباس والازدواجية ويعود هذا الإلتباس إلى أن الظواهر الإجتماعية نفســـها ، إنما تنطوي على بعدين اثنين : بعد " عام " يشير مفهوم" إجتماعي " بالمعنى الواسع الذي يشمل البعد السياسي والثقافي والاقتصادي والسوسيولوجي ، وبعد " خاص" يشير إلى مفهوم إجتماعي بالمعنى المحدود والضيق ، الذي ينحصر بالعلاقات الإجتماعية بين الأفراد والمجموعات كما أنه من الناحية اللغوية ، فإن تعبير " علم إجتماع " يمثل المفرد الذي جمعه " العلوم الإجتماعية " ، وبالتالي يمكن إطلاق

تسمية " علم إجتماع " على كل من علوم السياسة والاقتصاد والتاريخ..الخ بسبب انضوائها جميعاً تحت مفهوم / تسمية العلوم الاجتماعية.

وخروجاً من هذه الإ شكالية نقترح على الزملاء في علم الاجتماع ، أن ي ستخدموا إما الم صطلح الكومتي المعتمد في كل لغات العالم (Sociologie) ،أوالمصطلح الخلدوني العربي (علم العمران) . هذا مع العلم أن م صطلح " علم الإجتماع " يمكن أن يتحول مع الزمن إلى م صطلح مكتف ذاتياً ،وي صبح مرادفاً لم صطلح السو سيولوجيا ، أوعلم العمران ، أي ليس كمفرد لجمع (العلوم الاجتماعية) ، وبالتالي فإن استخدامه يمكن أن يظل صحيحاً ومشروعاً.

8- تعني التنمية بصورة عامة:

ـــــــــ تنمية الوعي السياسي (الفردي والجماعي) ، تنمية الممارسة الديموقراطية ، تنمية الإنتاج المادي والمعنوي.

ويمثل العن صر الأول برأينا ال شرط الم سبق لتنمية كل من الديموقراطية والإنتاج المادي والمعنوي . ولكن السؤال ا لذي يطرح نفسه ه نا هو : " من سينمي من ؟ وكيف؟."

وفي محاولة الإجابة على هذا ال سؤال الإ شكالي ، لابد من التوقف عند الم سائل ال سو سيولوجية التالية:

8. 1 ، إن تغييب الدور السيا سي للجماهير العربية من قبل السلطات الحاكمة ، كان وما يزال ، الس بب والنتي جة م عاً لتخلف الوعي الس ياسي والاجت ماعي لدى هذه الج ماهير ،

8. 2 ، إنه إ ضافة إلى ال سلطات الحاكمة ، المرتبط معظمها بالدول الرأسمالية الكبرى ، المعروفة الأهداف والنوايا ، فإن شرائح كثيرة وكبيرة من المثقفين (الأفندية) غير العضوين ، بمن فيهم قسم من الم شتغلين بعلم الاجتماع ، وق سم من رجال الدين ، وق سم من الع سكريين ، قد و ضعوا معارفهم النظرية والتطبيقية في خدمة "ال سلطان " والدولار ، بحيث لم يعد المرء قادراً على التفريق بين اليمين واليسار فيهم

8. 3 ، يتميز التركيب الإجتماعي في الوطن العربي بالتداخل والتشابك بين الإنقسامين : العمودي (الإثني ، الديني، الطائفي ، القبلي الجهوي) ، والأفقي (الاقتصادي والطبقي) ، الأمر الذي

ترتب عليه ، انتقال هذا التداخل الإجتماعي إلى المستوى السياسي ، وبالتالي إلى العلاقة بين فئات الـ شعب المختلفة ، التي بدأ يـ ضمر بينها وداخلها مفهوم " المواطنة " ، ليحل محله مفهوم " الأقلية والأكثرية " بكل إ شكالياته المعروفة (والتي نراها ونـ سمعها ونلم سها منذ أربعة عقود في الحالة السـورية (،

8 .4 ، هناك محاولات سو سيولوجية تحاول الربط بين ظاهرة التخلف في الوطن العربي ، والدين الإسـلامي الذي تدين به معظم المجتمعات العربية . غننا في الوقت الذي لاننكر فيه أن بعض أشـكال التدين يمكن ان تبرر مثل هذا الربط المتسـرع ، بيد أن هذا الحكم لاينطبق لاعلى الدين الإ سلامي في صورته الـصحيحة ، ولا على الأغلبية الـساحقة من أتباع هذا الدين . إن الإ شكالية التي نحذر الـ سو سيولوجيين منها ، هو ألاّ تـ ستجرهم مـ سألة الحداثة والتحديث (وهي مـ سألة صحيحة ومـ شروعة) إلى التماهي الفكري مع مقولة : " إن وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم !!" بدل العكس.

9- ينبغي أن تكون من أبرز مهام علم اجتماع التنمية ،وبالتالي مدرسـي هذه العلم ، في الوطن العربي ، مايلي:

ـــ دراسات تتعلق بتحديد العلاقة بين متغيرات : التخلف ـ التبعية ـ التنمية ،

ـــــ الكشف عن آلية الاستغلال الداخلي والخارجي للثروة القومية المادية (ولاسيما النفط) والبشرية ،

ـــ أثر الصراع السياسي والعسكري والأيديولوجي على المستوى العالمي ، على عملية التنمية في الوطن العربي ،

ـ ـ التداخل والتمايز بين الإنقسامين العمودي (الديني ، الإثني ، الطائفي ، القبلي ، الجهوي) والأفقي (الاقتصـادي والطبقي) ، على عمل ية التطور الاجت ماعي في الوطن العربي ،

ـــ الدور الإيجابي والسلبي للنخب الحاكمة في الوطن العربي (المثقفون ، الجيش ، المستبد العادل ، المستبد الفاسد الحزب الحاكم ، الأسر الحاكمة ...الخ (،

ـــ ـــ الآثار الإجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، المترتبة على استيراد التكنولوجيا عامة ، والتكنولوجيا الجاهزة خاصة (معامل تسليم المفتاح ، التكنولوجيا العسكرية) من الدول الصناعية المتطورة ،

ـــ ـــ الدور السياسي والأيديولوجي لوسائل الإعلام المختلفة ، ولا سيما الفضائيات ، في صناعة وصياغة الوعيين الفردي والاجتماعي في الوطن العربي.

2222/// أزمة علم الاجتماع في العالم العربي

منذ سنوات عديدة طالب أحد الأ ساتذة العرب بغلق أقسام علم الاجتماع في العا لم العربي، مُعللاً ذلك بعدم جدوى وأهمية هذه الأق سام. ورغم أن الرجل قطع شوطاً طويلاً من حياته خلف هذا العلم، حاصـــلاً على در جاته العلمية المختلفة من خلاله، ومُجرياً العديد من البحوث حوله، ومُسهماً في تخريج أجيال عديدة من دارسيه.

إلا أنه أعلنها صراحة بعدم جدوى هذا التخ صص في المجتمعات العربية الحالية. ورغم أن دعوى الإغلاق هذه قد تمت ا ستنادا لت صور نظري بالمقارنة بين ما يحدث لو أغلقنا أق سام كلية الطب أو الهندسة وما يحدث لو أغلقنا أقسام علم الاجتماع،

فإنها عبرت عن مأساة هذا التخصص في العا لم العربي. فالواقع العملي يؤكد أننا كبشر سوف نفتقد الكثير بدون الطب والهند سة وغيرهما من التخ صـ صات العملية الأخرى التي نحتاجها في حياتنا اليومية وتعاملاتنا الحياتية،

لكننا لن نخسر الشيء الكثير بدون وجود علم الاجتماع وغيره من التخصصات النظرية الأخرى. ولا أعتقد أن هذا الأســـتاذ قد أطلق دعوته عن قناعة تامة بعدم جدوى علم الاجتماع، بقدر ما أطلقها من ح سرته على ما آلت إليه أحوال هذا التخ صص في عالمنا العربي على الرغم من قيمته الإنسانية والمجتمعية والعلمية البالغة.

وحديثاً اتصل بي أحد الطلاب من خريجي أحد أقسام علم الاجتماع العربية وأخبرني بأنه وزملاءه من خريجي القسم قد تم تعيينهم جميعاً في وظائف ومؤسسات حكومية مختلفة. بصراحة استبشرت خيراً بمستقبل التخصص الذي أعمل به، وأكرس له مجمل حياتي وكافة جهودي العلمية والفكرية.

لكن الطالب فاجأني بأنه الوحيد الذي تم تعيينه أخصـــائيا اجتماعيا في إحدى المدارس، بينما كافة زملائه الآخرين قد تم تعيينهم في أماكن ومؤسسات أخرى لا تمت بصلة لعلم الاجتماع. فأحدهم قد تم تعيينه في أحد البنوك، والآخر قد تم تعيينه في إحدى الشركات التجارية،

والثالث في إحدى الشركات الانتاجية الصناعية...إلخ من تلك التخصصات التي يتم من خلالها تسكين الخريجين فيها بدون أية مراعاة للتخصصات المرتبطة بهم. وفي الحقيقة فإن العثور على وظيفة هو في حد ذاته يعد إنجازا هاما في أيامنا هذه التي ترتفع فيها نســـب البطالة بشـــكلٍ غير مسبوق في الكثير من المجتمعات العربية.

إن أزمة علم الاجتماع ترتبط بالأساس بما يقدمه العلم ذاته للطلبة، ويجعلهم يتميزون به عن غيرهم من أصحاب التخصصات الأخرى المشابهة أو المختلفة. كما ترتبط بوضعيته التي تجعله مجرد مرفأ أخير يلجأ إليه الطلبة حينما تعجزهم الحيل عن اختيار تخصص مرموق ضمن كليات الآداب مثل أقسام اللغات على سبيل المثال.

وهو ما جعل أعداد الملتحقين بأقسام علم الاجتماع في وقت من الأوقات تصل لمستويات هائلة مبالغ فيها، لا تمت بصلة لحاجة أسواق العمل، ومدى الاحتياج المجتمعي لهذا التخصص. وهو الأمر الذي جعل بعض القائمين على هذا العلم يتوهمون أهمية غير حقيقية لتخصصهم لا ترتبط بالواقع المعيش بصلة، وهو الذي أفضى في الوقت نفسه إلى أن تتحول أقسام علم الاجتماع إلى أقسام كمية وليست كيفية.

وبشكلٍ عام يمكن القول بأن أقسام علم الاجتماع العربية تشهد الآن أفولاً غير مسبوق مقارنة بما كان عليه الحال في العقود الما ضية. فالكثير من الطلبة يف ضلون الآن التخ صصات العملية التي تربطهم مباشرة باحتياجات السوق ومتطلباته الملحة.

كما أن عدم و ضوح ماهية علم الاجتماع مجتمعيا، وعجز القائمين عليه عن تو ضيح ذلك، يجعل الطلبة أنفسهم يسوقون صوراً مشوهة عن حقيقة العلم ذاته ويروجونها بين أقرانهم، الأمر الذي يحد من التحاق طلبة بجدد بتلك الأقسام.

والواقع أن نشأة العلم في عالمنا العربي، والتي بدأت مع تباشير القرن العشرين جاءت معبرة عن واقع أزمة العلم ذاته، من حيث تبعيته المطلقة للمنتج الغربي، الأوروبي بالأساس، في ذلك الوقت.

فما قامت به المدر سة الم صرية على سبيل المثال تم من خلال ترجمات الرواد الأوائل للمدر سة الفرنسية والبريطانية بالأساس. والواقع أن ما قدمه هؤلاء قدم تعريفاً جيداً للعلم لا يمكن إنكاره أو التقليل من شأنه.

فبخلاف كتابات ابن خلدون الرائدة في هذا المجال، وهى كتابات رغم أهميتها تختلف بدرجة كبيرة عن المنتج الغربي المعا صر، لم يكن أحد يعلم ماهية هذا العلم الجديد الوافد. من هنا فإن تبرير تلك الترجمات يســـتند إلى الرغبة في التعريف بالعلم، وفتح مجالات جديدة أمام الأجيال الجديدة للاستفادة من تلك الترجمات، مع محاولة التطوير المحلي لهذا العلم، وصبغه بالشكل والماهية العربية، وهو ما لم يحدث بدرجة كبيرة حتى الآن.

ففي ضوء الواقع العربي المحافظ من ناحية، وفي ضوء السياق السياسي القابض والمتحكم من ناحية أخرى، وفي ضـــوء تلك العلاقات والأدوار المحافظة التي قام بها القائمون على هذا العلم ذاته وارتباطهم بالتوجهات السياسية، فإن العلم لم يستطع أن يفرض لنفسه توجهاته العربية الخاصة به، كما لم يستطع أن ينتج تنظيراته المحلية المرتبطة بالواقع العربي المعيش.

فالمتأمل للمنتج العربي المعا صر الخاص بعلم الاجتماع يجده دائماً وأبداً ملاحقاً بدرجة أو بأخرى لما تنتجه ماكينة الإنتاج الغربية الأميركية والأوروبية على الـسواء، وفي أحيان كثيرة بـشكلٍ مـشوه

لا يرقى لمستوى المنتج الغربي ذاته. أما أن ننتج نحن نظرياتنا ونتابع مشكلاتنا فإن هذا لم يحدث إلا عبر المستويات الفردية المتناثرة هنا وهناك.

وحديثنا هنا ليس عن تلك المستويات الفردية المتشظية والمتناثرة بقدر الرغبة في الحديث عن وجود مدارس سو سيولوجية عربية حقيقية متابعة للواقع العربي ورا صدة تحليليا ونظريا وا ستراتيجيا لتحولاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة.

ورغم وطأة ال سياق الاجتماعي وال سيا سي على طبيعة المنتج الفكري والثقافي ب شكلٍ عام، فإن اللافت للنظر أن معظم القائمين على هذا العلم لا يتحلون بالقدر المطلوب من وجود رؤى تغييرية حقيقية للعالم. فمعظمهم إما جاؤوا من قلب الريف، حيث يتحلون بالرؤى المحافظة الجامدة المرتبطة بالمتعارف عليه،

وإما من أصول اجتماعية فقيرة لم تحرك فيهم تلك الرغبة الثورية التي ارتبطت بعلم الاجتماع الغربي من أجل تغيير الواقع الاجتماعي العربي عبر القرن الع شرين وحتى الآن، وإما صبغوا العلم برؤى دينية محافظة لا تمت للعلم ونظرياته ومناهجه بصلة.

لقد تركت تلك الارتباطات والأصـــول الاجتماعية تأثيراتها المختلفة على القائمين على هذا العلم. وهو الأمر الذي انعكس لا محالة على طريقة نقلهم لهذا العلم، سواء عبر كتاباتهم المحافظة المختلفة، أو سواء عبر طرائق تدريسهم التي لم تنطو على أي قدر من بعث الرؤى الجديدة، والحض على فهم الواقع الاجتماعي المعيش ومحاولة تغييره، رغم ادعاءاتهم المستمرة بما هو غير ذلك.

ومن الأمور اللافتة للنظر في العديد من أقســـام علم الاجتماع أن الطلبة أنفســـهم يلتحقون بهذه الأقســـام بدون أن يفهموا ماهيتها وطبيعتها والأدوار المرتبطة بها. فمعظمهم التحقوا بها لأنهم لم يجدوا مكانا آخر يقبلهم،

وهو الأمر الذي يكشـــف في النهاية عن نوعية الطلبة الملتحقين بهذا الفرع الهام من العلم المطلوب منه فهم التحولات الاجتماعية المختلفة بكافة أشكالها وتجلياتها والعمل على رصدها وتحليلها. ولعل ذلك يتوافق مع رؤية العامة لهذا العلم ذاته،

فمن الأمور المـ ضحكة في هذا الـ سياق أن الكثير من العامة يتـ صورون أن المـ شتغلين بهذا العلم وظيفتهم حل ما يطرأ من خلافات ومـ شكلات بين الناس، وأنهم يتمتعون بقدرات عالية خاـ صة بالتواصل مع الآخرين وعلى القدرة على إقامة علاقات اجتماعية واسعة مع الآخرين.

ورغم التطورات التي ارتبطت بهذا العلم، وبـ شكلٍ خاص بالنظر للأجيال الجديدة التي درـ ست في الخارج واطلعت على التراث النظري والمنهجي الحديث، فإن الأمر اللافت للنظر هنا أن المدرســـة الأميركية بالذات قد لعبت دوراً كبيراً في تجريد العلم من ثوريته وقدرته على الإســـهام في تغيير الواقع الاجتماعي وتحويله إلى مجرد أرقام وإحصائيات.

فمن الأشياء السيئة السمعة المرتبطة بواقع العلم في العقود الأخيرة هو ارتباطه غير المسبوق بالعدوى الأميركية التي تحيل البحث العلمي إلى مجرد أرقام وجداول وإحصـــائيات، بدون تلك القدرة على التحليل العميق والتنظير الشامل.

لا تحتاج أقـ سام علم الاجتماع في عالمنا العربي المعاـ صر لكل هذه الأعداد، ولا يجب أن تـ سمح سياـ سات القبول في كليات الآداب بمثل هذه الأعداد. كل ما تحتاجه هذه الأقـ سام هو أعداد محدودة في كل جامعة، تكون على دراية مسبقة بماهية هذا العلم والأدوار المرتبطة به.

كما تكون محددة مسبقاً من قبل الهيئات البحثية والمؤسسات الرسمية المختلفة التي تحتاج لمثل هؤلاء الخريجين. وبدون هذا التنسيق بين المؤسسات البحثية والجهات الرسمية وبين الجامعات سوف تسهم الجامعات في تخريج أعداد جديدة لا تفهم حقيقة هذا العلم ودوره البحثي الهام،

وسوف يظل خريجو أقسام علم الاجتماع لا يجدون مكاناً حقيقيا أثناء تعيينهم يليق بهم ويرتبط بما درـ سوه وبما تخصـصوا فيه. وأخيراً سوف يظل البعض يعتقد أنه يجدد ويقدم أطراً حديثة للتدريس والتطوير بينما هو في الواقع يســـاهم بدرجة أو بأخرى في تخريج المزيد من العاطلين الأمر الذي يفاقم من حجم المشكلة ويزيد من توابع آثارها السلبية.

3333/// النظرية الخلدونية

مؤ سس علم الاجتماع علم الاجتماع هو العلم الذي يهتم بدرا سة الخ صائص والتفاعلات البـ شرية المختلفة، ويدرس العلاقات بين الأفراد والجماعات بحـ سب البيئة الـ سكانية للمجموعات والأفراد، ويعتبر الخبراء في مجال علم الاجتماع الباحث أوغاست كونت المؤسس الغربي لهذا النوع من العلوم، إلا أن الباحث والمؤرخ عبد الرحمن بن خلدون هو مؤســـس هذا العلم بحســـب رأي الكثير من الخبراء العرب في هذا المجال، فقد اســـتطاع ابن خلدون بذكائه ودقة ملاحظاته التي جمعها في مقدمته التي اشتهرت بمقدمة ابن خلدون والتي تحدث فيها بشكل مفصل عن علم العمران أو الاجتماع البشري وجميع الظواهر الانسانية المرتبطة ببعضها، فكانت نظرية ابن خلدون النظرية الأكثر وضوحًا و شمولًا.

[١] **نظرية ابن خلدون:** يعتبر ابن خلدون الباحث الاجتماعي الأوفر حظًا بين أبناء جلدته من العرب والمسلمين ومن العلماء والباحثين الغربيين، فقد أجمعت مجمل الدراسات في الشرق والغرب على ألمعيته وريادته في المجالات المعرفية التي لم يقتحمها أحد من الفلاســـفة والمؤرخين قبله، فقد فـ سرت نظرية ابن خلدون علم الاجتماع "العمران" بـ شكل مبـ سط، فـ شرح من خلالها واقع الاجتماع الـ سيا سي من منظور التجارب التاريخية، إن الإنـ سان بحـ سب شرح ابن خلدون كائن اجتماعي لا يســـتطيع العيش إلا في مجتمعات وليس مهيأً للعيش وحده، فالإنســـان مخلوق يملك مصيره ويتحمل مسؤوليته الفردية داخل مجتمعه الإنساني، بحيث يصبح تحقيقها مسؤولية جماعية في العمران الاجتماعي، وقد أ صلت نظرية ابن خلدون إ شكاليات علم الاجتماع إلى ثلاثة أقـ سام وهي:

[٢] **حاجة الإنســـان للاجتماع والعمران:** إن الإنـ سان مخلوق اجتماعي مدني بطبيعته، وإن قوْته وأمانه لا يتحقق بقدرات شـــخصـــية فهو بحاجة إلى تكاتف جماعي مع بني جلدته ليحافظ على ديمومته وبقائه وقوْته، فالاجتماع والعمران حاجة بـشرية بالـسليقة، ولكنها بحاجة إلى ما يـشد هذا النـسيج الاجتماعي، وبحسب ابن خلدون هو "المُلْك". حاجة الإنسان إلى دولة لانتظامه وعمرانه: تعتبر الدولة الحا ضن الوحيد لا ستقرار العمران ويدور في محورها الاجتماع البـ شري، فتحدث بشكل مفصل ومطول عن نـشأتها وازدهارها وهرمها ووهنها ثم انقراضها، فالدولة بحسب نظرية ابن خلدون مقومة العمران وهي الحافظ لوجوده، ولكنه اعتبر أيضًا أن الدولة امتداد زماني ومكاني

لع صبية ما. فاعلية العمران ودور الع صبية في ضبطه: لم يختلف الباحثون في أن متن ابن خلدون أساسه العصبية، وأن نظرته تمحورت حول بلاد المسلمين وكانت مصدر تفسيره للقوة التي حركت العمران والدولة، فتحدث عن اللحمة والنسب وعن العصبية وغاية العصبية، وعن علامات المُلْك وطبائع المُلْك، وغير ذلك من مقومات العصبية وأطوار الدولة والترف والانقياد والفساد وخراب العمران.

[٢] أقوال ابن خلدون من أهم ما جاء في نظرية ابن خلدون أن استمرار الدول وعمارتها للأرض يحتاج إلى توازن بين الراعي "السلطان" والرعية، وهو الرابط بين السياسي والمدني، فكانت رجاحة عقله ورأيه واضحة في مجمل كتابه، الذي عرف بعنوان: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ومن أقواله المشهورة:

[٣] إنّ تنظيم الحياة الاجتماعية، وتصريف أمور الملك يتطلّب الرجوع إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون الى أحكامها.

إنّ سبب العصبية القبلية بأن الحضارات الأخرى تصعب عليها مخالطة الأعراب بسبب البيئة القاسية التي يعيشونها، فجعلهم ذلك منعزلين.

الحاكم الظالم يظهر له الشعب الولاء، ويبطن له الكره والبغضاء، فإذا نزلت به نازلة أسلموه ولا يبالون.

إذا رأيت الدول تنقص من أطرافها، وحكّامها يكترون الأموال فدقّ ناقوس الخطر.

غاية العمران هي الحضارة والترف، وإنه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ في الهرم، كالأعمار الطبيعية للحيوانات.

اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء.

إنّ الاجتماع الإنساني ضروري، فـــــالإنسان مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية، ومن العجز عن اســـتكمال وجوده وحياته، فهو محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبدًا بطبعه .